كعك وأشجار وأطفال

قصة بقلم
محمود الريماوي

كان المساء قد انحنى حتى اظلمت ، فاضاتالغرفة ، واخذت ارتب بعض الاوراق القديمة والبيضاء ، وانقل نظري بين الصور المتتابعة الصامتة في التلفزيون وبين التلفون الاسود . بين ساعة الحائط النحاسية والمكتبة والتلفون الاسود . كان يجب أن أشغل نفسي وانهمك في امر ما ، تلك الليلة . فقد لا يحضر لاي سبب ، وقد لا اخرج مع امراتي الى هواء الليل الطلق نتمشى بين السيارات امام الواجهات البراقة ونتحدث في مشاريع المستقبل . وها اني افاجأ بنفسي مرة اخرى بعد أن انتهى وقت العمل وعدت الىالبيت : خاليا وحيدا ومدعوا الى أمر غامض ، وقد القوا تحيةالوداعاليومية وانصرفوا.

كنت ادرك ذلك وانا اتحسس جبهتي ، واغالب شعورا خفيا يتسلل اليّ بداب .. اغالب شعورا بالندم والمضيعة ، قبل أن يتفاقم ويطبق على رأسي بصداع مقيت ، فيما اجلس في ركن الصالون بكامل ملابسي وانتباهي ، كمن ودع ضيوفا للتو ويتهيأ لاستقبالغيرهم: « ما عليك .. هو مجرد صداع طارىء ، خفيف وعابر . لعله صداع في الروح ، كما يقول الشعراء ، وينقضي ، وتنساه ، وتسلو ، كأن لم يكن » .

رنين الجرس يفقأ الصمت . نهضت مستجيبا وفتحت الباب :

ـ جئت ؟ كنت انتظرك (وكنت قد انتظرته في البدء ثم لم أعد انتظره) .

ـ ظننت في الوقت متسعا . ارجو أن لا اكون تاخرت كثيرا . لا يعرف الواحد احيانا كيف يمضي الوقت . هل رجعت انت باكرا ؟

ـ قبل ساعة او اكثر ، وانتظرتك ، كما تراني .

ـ ظننت ان الوقت غير متاخر . أنا متأسف . اريد ان اسالك هل قابلتهم اليوم ؟

ـ .. قلت انك لا بد ستسالني ، وها انت تسأل . لا لم اقابلهم .

ـ وانا توقعت ذلك .

ـ لا .. كنت أنوي أن اقابلهم . اتصلت بهم على الرقم اياه ، ولم يجب أحد . انا لا احب التلفون ولكنه لم يجب .

ـ لماذا لم تذهب بنفسك ؟

ـ قلت أتصل بهم قبلا واتأكد . لا بد انهم خرجوا .

ـ هل اتصلت مرة ثانية ؟

ـ اتصلت مرة ثانية وثالثة بلا فائدة . التلفون يرن ولا احد يرفع السماعة . لماذا اذهب ؟

ـ هم الذين سالوا عنك كثيرا . كثيرا . كانهم يرغبون ان يتأكدوا منك من شيء ما . انهم يتذكرونك تماما . لم اكن انا أعرفك تلك الايام .

ـ غريب !

ـ لماذا تستغرب ؟ يقولون انك كنت تقضي النهار بينهم كواحد منهم ، اكثر من الوقت الذي تقضيه في بيتكم . صحيح ، لقد مضى على ذلك زمن طويل ، ولكن يبدو انه كان يحدث .

ـ هم قالوا ذلك ؟ كنت اقضي عندهم اوقاتا طويلة، صحيح ، لا أنكر . خاصة واني لم اكن اميز الوقت جيدا، ولم اكن احمل ساعة . صحيح . ولكنها ليست اطول من الاوقات التي كنت اقضيها في بيتنا . انهم لا ينسون . ظلوا في المحطة ولم يركبوا القطار . مساكين. لا ينسون. اكاد لا أصدق .

ـ لماذا تشكّ في الامر ، لماذا لا تصدق ؟

ـ لانهم يبالغون . انا لا احب المبالغة ابدا . هؤلاء يتذكرون كل شيء ، ويقبضون على كل شيء بملقط الذكرى ، ولا يدعونه يفلت منهم . كانهم بوليس . كان الزمن ارشيف وهم حراسه . يجمعون الذكريات مثل الطوابع القديمة والحيوانات الاليفة ويعرضونها بزهو كما يعرضون اثاث البيت على ضيوفهم . لا زال في الدنيا ناس يختزنون في ذاكرتهم كل شيء ومن أول العمر . يا الهي . لم اكن أعرف بذلك . اشكرك انك قلت لي . سأنتبه لنفسي اذن !

ـ لا افهمك . ما الخطأ في الوفاء ؟ هل هو عيب ؟ المقاييس انقلبت كما يبدو .

ـ اي وفاء ؟ يعتقلونك في اطار ضيق عتيق ، ويستكثرون أن تخرج منه وتجري حياتك في مجراها . تسالني ما الخطأ ؟ كانك تناقشني . يا لمزاحك الثقيل هذه

الليلة ! هل جئت لهذا الغرض ؟! ولكني لم اتصل بهم لاقضي نهاري معهم . لن افعل ذلك حتى لو لم يكن لديّ اي شيء افعله . لا تلمني انت . تلفونهم هو الذي لا يجيب . انا اتذكر ايضا تلك الايام ولم انسها بعد . ها هي شجرة الخوخ التي سقطت عنها ، وها هي كعكة السكر التي القمتني اياها مكافأة لي . كأبي صعدت الى الشجرة وسقطت لكي تعطيني كعكه ! هل تريد ان اسرد هذه الذكريات الحلوة بل السكرية . ها انا اقول ، ها انا اعترف يا سيدي !

ـ ارايت انك لم تنس انت ايضا ؟ اطفال وكعك واشجار . اني اكاد احسدك . صحيح ان للطفولة تاثيرا كبيرا في مستقبل حياة كل شخص . انا لا اتذكر الا ممنوعات امي وتهديد ابي . اكاد احسدك . انها الايام السعيدة .

ـ الايام السعيدة ؟ لم اشاهد هذا الفيلم بعد .

ـ من الذي يمزح ؟ كنت تتهمني بالمزاح . من يمزح ؟

ـ هي . كنت البي طلباتها فتضمني الى صدرها ، وتقول انها تحبني كابنها ، كأنه لم يكن لي أم تحبني . ولا تعرف ان تفعل ذلك الا عندما اريد الانصراف الى بيتنا . ثم تقول الآن اني كنت اقضي عندهم أوقاتا اطول. تصور هذه الاوقات الطويلة التي تحدثني فيها عن زوجها المرحوم وصداقته لابي ، تبكي وتدنيني منها حتى يتملكني الخوف . ما ذنبي انا ؟

ـ الحزين يبحث عن عزاء . انت تعرف .

ـ كنت صغيرا ناعم البال . اصغر من الاحزان والعزاء . وبعد وقت قصير صرت اكرهها كراهية شديدة .

ـ لماذا ؟.. لانها تحبك كابنها ؟

ـ لقد ماتت امي فجأة .

ـ سقى الله تراب الوالدين .

ـ قالت لي انا امك ، مع انها لا تشبه امي في شيء . غضبت منها غضبا شديدا . وصفعتها على وجهها . نعم صفعتها .

ـ للذكريات دائما وجهان : الحلو والمر . الا تذكر ابنهم ، صديق الطفولة وجاركم ؟ لقد اصبح شابا مثلك .

ـ اتذكره . لماذا لا اتذكره ؟ كنا نكون هادئين صامتين بعد اللعب ، فيخرج علينا فجأة ، ويقف وياخذ بالعد من واحد الى مئة . لا يكفّ عن العد حتى يصل الى المئة . دون ان يسأله او يطلب منه احد . تصور المشهد . لقد كبر الآن ، وكبرت انا . اني اتذكره . ما قيمة ذلك ؟

ـ دعنا من هذا .. ما رايك ان افعل بدلا منك ؟

ـ تفعل ماذا ؟

ـ سأتصل بهم . التلفون موجود . لن يكلف ذلك شيئا .

ـ تريد ان تتصل . لا مانع عندي . لكن الوقت تأخر . دع ذلك ليوم غد .

ـ انه مجرد اتصال . لن احمل نفسي واذهب . مجرد محاولة لا اكثر .

ـ ماذا ستقول لهم ؟

ـ سأقول طبعا انني اتصل من بيتك . واننا كنا في سيرتهم ، وخطر لي ان اتصل فاتصلت .

ـ ستقول ذلك فقط ؟

سأقول انك اتصلت بهم بعد ان اخبرتك بقدومهم مباشرة . ولم يجب احد منهم . وانك كررت الاتصال بلا فائدة .

ـ ما دمت ستكلمهم يمكنك ان تجاملهم قليلا عني .

ـ بالطبع ، ومجرد الاتصال هو مجاملة لهم .

ـ اقصد يمكنك ان تقول اني اتذكرهم جيدا كأننا افترقنا قبل أيام معدوده فقط . انها طريقه مألوفة ومقبوله في المجامله بين الناس .

ـ سأقول ذلك . انها عبارات لطيفة تثير الرضى في نفس سامعها .

ـ أخشى ان يعتبروا الامر مجرد كلام . قل لهم اني احب ان اراهم ، وان استقبلهم في بيتي . قل لهم انه بيتهم الصغير .

ـ سأقول ذلك . خاصة العبارة الاخيرة .

ـ قل لهم اني اتذكر بيتهم وحديقة البيت وسطح البيت ، والباب الحديدي الثقيل ، ونباح الكلب في الليل . اسألهم اين ذهبوا بالكلب . كان كلبهم مغرورا يظن ان نباحه تفريد او غناء ، او انه سيخيف البلد كلها . اسألهم اين ذهبوا به .

ـ يا لملاحظاتك الشديدة . هل يسأل أحد عن كلب ؟

ـ اسألهم عنه في نهاية الكلام . قل لها ان كانت تقدمت في العمر ، فلا تزعل أو تهتم . فقد كبرت انا ايضا مرة واحدة وتزوجت وانتظر ابناء لاسعد بهم واشقى .

ـ دعني اتصل .

ـ يمكنك ان تقول لها اني كنت خائفا من امي عندما صفعتها ، ولم يكن الامر بيدي .

ـ لقد امليت عليّ كلاما كثيرا ، قد لا اتذكره كله . انك تنسى ، الن تحدثها انت ؟

ـ سيكون كلامك تمهيدا لي . لقد ساقتك الاقدار لتكون ضابط الاتصال التاريخي بيننا . ان حكاية الخوف هذه ، غامضة .

ـ سأسمعك مرة اخرى . اي خوف ؟ الاطفال يمرون بحالات خوف كثيرة والا كانوا رجالا . ذلك شيء طبيعي .

ـ لم اودعها عندما سافرنا .

ـ ما قيمة ذلك عند امراة مسنة وحكيمة مثلها . هوسة السفر تأخذ الاطفال . هذا امر طبيعي .

ـ هيا اتصل . تذكر أول شيء أن تعتذر لها لاني لم أودعها ، وذلك حتى نبدأ من آخر نقطه وصلنا اليها . قل لها ما قلته لي الآن : هوسة السفر تأخذ الاطفال . انها عبارة مقنعة ، بل مفحمة . عليك أن تفحمها من البداية .. هل ستتصل فعلا ؟ ان ذلك أمر مثير . كأني مضطرب . لقد مضى اكثر من عشرين عاما . ربع قرن تقريبا . مضى عمر كما يقولون . ستعتذر لها لاني لم أودعها . لقد كنت صغيرا ، صغيرا جدا اذا جاز لي القول . ولكن لعله من الانسب أن أعتذر لاني لم أكن في استقبالها . لم أكن أعرف انها قادمة . ذلك أليق وأدعى للاعتذار . العجائز يحبون الاستماع الى اعتراف الآخرين بأخطائهم . هل تسمعني ؟ لماذا لا تتصل ؟

ـ انتظرتك حتى تفرغ .

ـ في مناسبة كهذه يصعب على المرء أن يضبط مشاعره ، أو حتى أن يبينها . لقد مضى ربع قرن كما قلت لك . اني أشعر بوطأة الزمن . واخشى ان يتجدد هذا الموقف بعد ربع قرن آخر . لم يعد الانسان يضمن شيئا هذه الايام ، ما دام مهددا أن يرجع الى نقطة الصفر بين ربع قرن وآخر . ماذا كنت أفعل خلال كل ذلك الوقت ؟ فعلت أشياء كثيرة ولم أفعل شيئا . الوقت يضيع الحياة « أين هي الحياة التي أضعتها في العيش ؟ » ولكن دعنا من هذا . انك قابلتها . لماذا لا تصفها لي . دعنا نرى قدرتك على الوصف ..

ـ أبدا .. انها امراة مسنة كأي امراة في عمرها .

بماذا اصفها لك ؟

ـ هل انها عجوز مثلا ؟

ـ عجوز ؟ ليس كذلك بالضبط . من المبالغة وصفها بهذا الوصف . أنت لاتحب المبالغة . انها تبدو كما لو انها لم تتجاوز الستين الا قليلا . بضع سنوات ، ربما . والا ما كانت تصفف شعرها بتلك العناية .

ـ بعناية .. ماذا تقصد ؟

ـ اقصد بعناية النساء . أقصد ما فهمته . أنا لا أتكلم مثلك بعبارات ملتبسة . انها تصفف شعرها بعناية . كما انك لا تخطىء بريقا غريبا باقيا في عينيها . ليس بريقا نفاذا على أي حال . لكن عينيها ليستا مطفأتين على الاقل .

ـ وبشرتها ؟

ـ ما بها بشرتها ؟.. اننا نتكلم عن امراة متقدمة في السن .

ـ وصوتها ؟

ـ لا أدري بماذا اصفه . كيف تريدني أن أصف صوتها ؟

ـ لا اقصد وصفا معينا . مجرد انطباع فقط . ذاكرتي تستعيد نبرة صوتها . انها تتحدث بطريقة متسارعة ، بشيء من الحشرجة ثم تسكت وتستغرقك بنظراتها ، ببريق عينيها كما قلت . وتعود مرة أخرى تتحدث بنفس الوتيرة لتصمت من جديد برهة طويلة . وها قد مضى ربع قرن وقد غاب صوتها ، وهي صامتة . أكاد أسمعها الآن تتكلم بعبارات متتالية متلاحقة . اني أحبس أنفاسي على وقع صوتها ، وحشرجة صوتها تقع على أطراف أصابعي .

ـ لقد فهمت. ولكن عباراتها ليست بذلك التسارع. انه أمر غير ملحوظ تماما . بل انها أحيانا تنطق الجملة كلمة كلمة . للسن احكام . انت تعرف .

ـ هكذا اذن .. كلمة ، كلمة . لم أتصور ذلك . لا أتخيل انها تتكىء كل مرة على كلمة واحدة فقط . اذن أنت راقبتها . أقصد سمعتها جيدا . بل ما أعنيه انك أصغيت اليها باهتمام تام . ألم يحدث ذلك ؟

ـ من دواعي الاحترام للشخص الآخر ، خاصة اذا كان متقدما في السن ، أن تصغي اليه بانتباه واهتمام . وهذا ما فعلت ، لا أكثر من ذلك .

ـ لا أكثر من ذلك ؟ لم أتساءل مثل هذا التساؤل. كنت تقول انها امراة متقدمة في السن ، وها انت تقول لا أكثر من الانتباه والاهتمام . كأن هناك تناقضا ما فيما تقول . لعلي مخطىء في هذا التقدير .

ـ انك تقلب كلامي على المقلب السيىء . لم أتوقع أن يصل الامر الى هذا الحد .

ـ آه .. اني لم أتهمك حتى تدافع عن نفسك . ولكن تمهل يا صديقي ، رويدك . عندما يضع المرء نقطة في نهاية عبارته ، فلا يعني ذلك بالضرورة أن العبارة انتهت . هل تفهمني ؟

ـ لا أفهمك هذه الليلة .

ـ أنت قلت انك انتبهت واهتممت لا اكثر من ذلك، وانهيت عبارتك أو اقفلتها . ولكن ذهني انا ليس مقفلا ، انه مفتوح . وهكذا فاني لا أملك أن أمنع تداعي بعض المعاني والافكار التي أثارتها عبارتك التي حسبت أنت انها انتهت نهائيا الى الابد بمجرد توقفك عن الكلام . هذا كل ما في الامر . أنا أدرك انك لست مولها بالستينيات. دعنا الآن من هذه المسخرة . انك لم تقل أكثر من ان شعرها مصفف بعناية النساء ، وان لعينيها بريقا . لم تقل اكثر من هذا . ولكنك لم تتصل بها حتى الآن .

ـ كنت أريد أن أفعل ذلك عنك ، ويمكنك أن تقوم بهذه المهمة الآن . اخدم نفسك بنفسك . انت صاحب العلاقة . وسأتفاضى لاجل صداقتنا عما كنت تقوله . ورأيي انها امراة فاضلة محترمة ، تترك في نفس محدثها انطباعا حسنا . بل أحسن انطباع .

ـ كلام صحيح ، لا غبار عليه .. تصور أن يكون على الكلام غبار ، وتمسحه بقطنة أو تنفخ عليه . من الافضل أن لا تنفخ بقوة حتى لا يطير الكلام مع الغبار ، فالكلمة روح والروح خفيف . ولكن ليس معنى كلامك أن تتراجع عن الاتصال ، فذلك ظلم . صحيح انني كنت

اعرفها قبل ان اتعرف اليك بزمن طويل ، وكذلك هي قبل ان تصادفك في المطار . ولكن ما كان يمكن ان ينبعث الماضي او يخرج من القمقم لولاك انت . انت السبب والوسيط . لست عاجزا عن مكالمة هاتفية . يمكنني ان افعل بدلا منك اذا شئت . دعني اذن اعتذر لك . قد يبيع الانسان الحاضر من اجل المستقبل . ولكن ليس من اجل الماضي الغابر السحيق ! لو تحدثت اليها بعد ربع قرن لا بد ان تتملكها المفاجأة . بعد ربع قرن يفاجا الانسان . هذا طبيعي في سائر الاحوال . اما انت لو كلمتها ، فلن يكون ذلك غريبا عليها . انك التقيتها قبل يومين فقط .

ـ امس ولاول مرة .

ـ اجل امس فقط ، لماذا نذهب بعيدا ؟ اذن ليس غريبا ان تتحدث اليها بعد مضي ساعات فقط على آخر حديث بينكما . اما انا فالامر مختلف وقد اتضح لك الآن. انه بحاجة الى تمهيد منك وتهيئة . ولا تنس ان انطباعك عنها حسن ، بل هو احسن انطباع ، ولا بد ان يكون انطباعها هي ايضا كذلك . هذا يسهل الامر بينكما .

ـ الكلام اخذنا ، والوقت تأخر . كم الساعة الآن ؟

الساعة .. الآن .. لم تبلغ الحادية عشرة .

ـ من يضمن انها ليست نائمة في هذا الوقت من الليل ؟

ـ نائمة ام مستيقظة .. مستيقظة ام نعسانة ؟ لا ادري . سألتني من يضمن انها ليست نائمة . ان جئت للحق لا احد يضمن اي شيء . فربما تشغل نفسها الآن بانتظار مكالمة . ربما تسهر عند اقارب لها . ربما تغط في نوم عميق . بالنسبة لي ولك فان النعاس لم يدركنا بعد . ولا زلنا نخوض الحديث . انها من الصنف الذي اذا استغرق في النوم فلبضع ساعات . انت لا تعرفها . تظل مستيقظة تطارد اشباحا وخيالات ، وتستحضر ذكريات ، واحيانا تخاطب نفسها . لا تعير انتباها حقيقيا لما تراه امامها او يحدث حولها . تفاجأ للحظات ثم لا تلبث ان تسترخي ندما على ما بدر منها من اهتمام . كأن كل شيء في حياتها قد حدث واكتمل . كل شيء . ولا داعي لتكراره مرة اخرى . تعيد تفسير كل شيء وتنقب فيه فقط . هكذا تفكر : كل ما يحدث زائدا عن الحاجة ولا ضرورة او معنى له . انها ذات اطباع غريبة واطوار اغرب. الست معي في ذلك ؟

ـ ليس عندي راي مخالف . انها ارملة على كل حال . ماذا تتوقع من ارملة ؟

ـ ولكن معرفتك بها لا تتعدى حدود التعارف .

ـ انها لا تتعدى هذه الحدود ، وقد لا تتعداها ابدا، وليست كمعرفتك انت بها .

ـ نحن جيران قدامى .

ـ بل اكثر من الجيرة . يقولون جارك القريب ولا قريبك البعيد .

ـ لهذا السبب ، وبصرف النظر عن اية اسباب اخرى ، كان يجب ان تعطيها رقم تلفوني . ما كان ذلك يكلفك شيئا .

ـ رقم تلفونك ؟ يا الهي .. فعلا . كان يجب ان اعطيها الرقم . لكني لم افعل . انني اقصر دائما في حقك . كيف ارتكبت هذا الخطأ ؟ بل هذه الحماقة . لقد نسيت. ببساطة نسيت ، كما ينسى الانسان اشياء كثيره هامة في حياته ، ويتذكر السفاسف . انه تهيأ لي وقتها ، ارجو صفحك ، انك لا تملك تلفونا بالمنزل . ربما لانك ركبت التلفون مؤخرا ، هكذا تهيأ لي . كأني حاولت ان اجاملها بطريقتي الخاصة ، وان اجعلها تشعر انك انت الذي سنبادر الى الاتصال . نوع من التبجيل . ولكن كان يجب ان احتاط للامر واترك لها رقمك ولو بصورة عرضية مواربة ، في مجرى الحديث بيننا مثلا . من اول ما جئت وانا اسأل نفسي ما الخطأ الذي ارتكبته ، ولم استطع ان اجيب على السؤال ، حتى نبهتني اليه الآن . كان يجب ان اعطيها رقمك على الاقل . رغم انه على اي حال مثبت في الدليل شأن كل المشتركين في الهاتف .

ـ لم يثبتوه بعد في الدليل .

ـ اذن لن يمكنها الاتصال بك لو رغبت في ذلك . اكيد انها حاولت وفشلت . الاستعلامات لا تجيب على احد في هذه الايام . والفشل في العثور على انسان عزيز هو اقسى انواع الفشل واكثرها مرارة ، فكيف اذا اصاب امراة فاضلة مسنة مثلها ؟ معنى ذلك انه يجب ان تحاول الاتصال مهما كلفك ذلك . انها مناسبة لا تتكرر . لن تستطيع ان تلومها لانها لم تتصل ، اما هي فمن حقها ان تلوم . سوف اتصل عنك الآن ، فالمسألة ليست معقدة الى هذا الحد . لماذا تهول الامور ؟ (ينزع دفتر التلفونات من جيبه ويتجه مسرعا الى التلفون ، يدير القرص بلهفة) .

ـ الجرس يقرع . ليس مشغولا .

ـ لقد حدثت امور كثيرة لا حصر لها ، منذ فارقتها طفلا . انه عمر . لا اعرف ما الطريقة الملائمة لمخاطبتها . كأني لم اعد اعرفها . كأني اخشى ان يتغير انطباعها اول ما تسمع صوتي . ولكن هل للزمن كل هذا الجبروت ؟ ليس صحيحا ، دائما . في موقف كهذا يبدو انه وهم باهظ مكتظ ، لا غير . أسراب من الوهم ، قطعان من غيوم سوء الفهم تتبدد عند اول طلعة شمس . الطريق الى الجذور ليست طويلة . انها اقرب الطرق ، تنحني الذاكرة قليلا وتنتفض فينبعث الماضي العزيز ، اقصد سنوات الطفولة الاولى . سنوات الصدفة الخارقة الاولى .

ـ الجرس يقرع . ساعيد المحاولة .

ـ كأن الطفولة صليب ينزل عنه الانسان مرة واحدة الى الحفرة الاخيرة . في الطبيعة كائنات غريبة تتآلف

ضد عدو مشترك ، لمصلحة واحدة . هي أول من دخل حياتي . دخلها بجلبة وحماس ، وحين خرجت بقي غيابها لاذعا . كانت تستقبل رغباتي كأوامر الامير الصغير . كانت هي وحيده كطفلة ضائعة بلا والدين ، يمضي الزمن تحت أقدامها ، وهي لا تزال طفلة حانقة . لم اكن اعرف معنى الترمل . كنت أفكر ان زوجها هو ابوها . لم اكن أميز تلك المسائل . كنت أصغي اليها وأدعي اني أفكر بكعكة السكر . أديم النظر في عينيها حتى أجعلها تكف عن الكلام ، وعندما تكف أهرب . ولكنها كانت تعرف كيف تعاقبني حيث لا أتوقع وبقسوة، فأرفع اليها سؤال الحماية والعفو .

ـ التلفون يا صاحبي لا يجيب . هل تلفونك صالح؟ جرب حظك أنت ولو للمرة الاخيرة .

نهضت . استدعيت كل قواي ومصادر ثقتي . تقدمت وأدرت القرص . لم اشعر كهذه المرة ان هذا الجهاز يمكن أن يفتح خطا على الفردوس أو الجحيم أو العدم . أدرت القرص . انتظرت . انه يرن . نعم موقوت منتظم لا يخطىء . ويسكت . ويرن ، مثل وجيب قلبي وتردد ذاكرتي وتقلب ظنوني .. الو .. الو .. نعم . اسمي (قلت اسمي) .. عفوك .. انك لا تعرفني ، اننا لا نعرف بعضنا للاسف . ولكني أريد السيدة (قلت اسمها) . نعم هذا هو الرقم (ذكرت الرقم) . لقد حاولت من قبل ، لكن تلفونكم لم يكن يجيب . خطأ ؟ تقول خطأ .. أليس هو الرقم (...) اذن أين الخطأ يا سيدي ؟ لا تعرف سيدة بهذا الاسم ؟ لم تنزل عندكم ؟ لو كنت أعرف من قبل لما اتصلت . نعم ان الوقت متأخر. المعذرة . كانت السماعة ثقيلة في يدي وأنا أعيدها الى الجهاز . لقد توقفت السيدة عن اطلاق عباراتها المنسارعة وذهبت الى فراغ الصمت . هل كان يمكن أن أستعيد كل ما مضى بمجرد ادارة قرص التلفون ، والاصغاء الى صوت شحيح يتسلل عبر أسلاك الهاتف ؟ رأيت عقارب الساعة على الحائط حادة طويلة وذات ضخامة . والتلفزيون مثل بقرة بلهاء نائمة . رأيت صديقي وقد شحب وجهه وغارت عيناه . لم يتكلم . كأنه لعب دور الدخيل . الطرف الثالث الطارىء وانتهى دوره . كنت سأنام على الفور بسلام أو متوخيا السلامة ولطف المآل . لولا شعور طاغ يداهمني بأني خال حتى الفراغ ، ووحيد مرة اخرى ، واني مدعو اكثر من أي وقت مضى ، لامر غامض يخصني ، وقد افقده في أية لحظة ، ان لم اتقدم اليه وأناله ملء قبضتي .

الكويت

صدر حديثا

روايات وقصص

د. سهيل ادريس

في طبعة جديدة :

الحي اللاتيني

(الطبعة السابعة)

الخندق الغميق

(الطبعة الثالثة)

اصابعنا التي تحترق

(الطبعة الثالثة)

قصص سهيل ادريس

في جزئين :

اقاصيص اولى

اقاصيص ثانية

منشورات دار الآداب